

واجبنا الدفاع عن هوية الثورة وأسسها

المناسبة: لقاء مع نواب الدورة السادسة لمجلس الشورى الإسلامي

الزمان والمكان: 15 ربيع الأول 1421هـ - ق طهران

الحضور: نواب مجلس الشورى الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مرحباً بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، يا أعضاء وممثلي الشعب المحترمين في المجلس، ويا زملائنا الجدد والأعزاء في إدارة هذا البلد الكبير، وهذه الثورة العظيمة، ومشاركونا في بلوغ الأهداف والأمال التي وعدها الله الأمة الإسلامية والمجاهدين في سبيله.

العون الإلهي أساس نجاح الأعمال

إنّ أول شيء ينبغي على كل مسؤول في النظام الإسلامي – وأنتم من المسؤولين أيها الإخوة والأخوات الأعزاء – أن يضعه في حسابه، هو التوجّه بالشكر إلى الله سبحانه وتعالى، الذي أولاً هذه المسؤولية العظيمة؛ فليس من المتاح دائماً أن يكون الإنسان في خدمة الشعب وخدمة الإسلام وخدمة الأهداف السامية، وأن يكون هذا الأمر ميسراً له.

إنّ الزمان يتحوّل، وإنّ الظروف تتبدل، وليس بوسع الإنسان دائماً الحصول على ما يبغى من إمكانيات.

إنّ لشرف عظيم للإنسان المؤمن الملزّم أن يشعر بأنه في موقع يستطيع من خلاله أن يسعى ويجدّ ويتخذ خطوة على سبيل خدمة الشعب والوطن والإسلام، وتحقيق الأهداف الرفيعة التي لا شكّ في عظمتها.

أيها الأعزاء! إنّ من المستحيل على المرء أن يخطو خطوة واحدة لولا العون الإلهي؛ وإنّ هذا العون الإلهي لا يأتي مصادفةً أو اعتباطاً ولا تقدير، ولا يتّأتى إلاّ طبقاً لرجاء الإنسان وسعيه الدؤوب والاستعانة بالله جلّ جلاله على منحه العون والمساعدة.

إنّ نبينا الأعظم (ص) – الذي هو أسوة وقدوة لكافة المؤمنين وال المسلمين، والذي نحتفل هذه الأيام بذكرى ميلاده السعيد – كان يتضرع إلى الله تعالى ويستمد منه العون في الظروف الحالية، دون الإيحاء للمخاطبين والحضور أن بإمكانه عمل كل شيء بقدراته الذاتية والإتيان به من عنده، بل كان يقول بصرامة: إنه لا يستطيع القيام بأي أمر دون عون الله تعالى ومساعدته؛ ففي غزوة الأحزاب، عندما ضرب الأعداء الحصار على المدينة والرسول وجموع المؤمنين طمعاً في اجتثاث جذور الإسلام والقرآن والرسالة الجديدة، فإن النبي (ص) كان يطيل السجود لله تعالى على مشهد من العيان، فضلاً عن تجهيز العسكر واتخاذ التدابير الصارمة وحثّ المؤمنين على المقاومة؛ وقد تكرر منه هذا العمل كما ورد في كتب السيرة.

كما كان الرسول (ص) يرفع يديه للسماء ويتضرع إلى الله تعالى ويبكي قائلاً: اللهم أعنّا وانصرنا ووفقنا.

إننا لن نستطيع إنجاز أي عمل دون العون الإلهي، الذي لا يتحقق هو الآخر ولا تنزل الرحمة الإلهية إلا بالتوجه إلى الله، والتوصّل به وتطهير القلوب وخلوص النية، وتجاوز الأهداف الشخصية التافهة والوضعية، وهو ما لم تنتصر الثورة الإسلامية إلا به، ولم يتشكل مجلس الشورى الإسلامي – الذي يُعد من مفاخر نظام الجمهورية الإسلامية، ويعتبر صفحة ذهبية في بطاقة ثورتنا ونظامنا – إلا به.

لقد جربنا في هذا البلد مجلساً باسم مجلس الشورى قبل انتصار الثورة الإسلامية؛ وكل من عايش أو لمس ذلك المجلس وتلك الظروف والأوضاع وذلك التاريخ، أو طالعها في الكتب والمؤلفات، يعرف قدر هذا المجلس وهذه الثورة، وقدر هذه التضحيات التي جعلت مجلس الشورى الإسلامي لا يغلق بابه يوماً ما على مدى واحد وعشرين عاماً.

إن ذلك المجلس كان هو الآخر من ثمار الإسلام، ولم يكن له أن يتأسس لولا جهاد المؤمنين باسم الإسلام وتضحيات العلماء العظام، ولكنه انحرف عن المسير.

لقد مُني ذلك المجلس بآفتين: إحداهما التعطيل والتوقف، والأخرى الانحراف؛ وكان سبب هذا الانحراف: أن النواب تخلوا عن مسؤولياتهم؛ وبعد الدورة الثالثة والرابعة – حيث استمر المجلس على طول أربع أو خمس دورات مدة كل منها ستة، وكان خاضعاً لصوت الشعب تقريباً – لم تعد هناك انتخابات ولم يكن ثمة حضور شعبي. وإن

أحداً لا يعرف قدر مجلس الشورى الإسلامي هذا، ولا هذا المحيط التشريعي الحر، ولا هذا الاعتراف الحقيقي بأصوات الجماهير إلا من عايشوا تلك الظروف الماضية، أو لمسوا تلك الأوضاع أو سمعوا عنها أو فهموها.

فاحمدو الله على أن وفقكم للتواجد والحضور في مثل هذا الموقع المهم والرفيع، وضعوه في حسبانكم لحظة اتخاذ القرارات، وابذلوا ما لديكم من طاقة وسعي وجهود لأداء المسؤولية، فإن هذا البلد في أمس الحاجة إلى المثابرة والسعى الحثيث.

العمل بالدستور هو العلاج الأنجع

إنّ هذه الثورة هي تجربة جديدة وخطاب حديث في العالم، وإنّ النظام الإسلامي يُعتبر اصطلاحاً جديداً في قاموس السياسة الدولية، وليس بذلك الأمر الذي يمكن أن تتجاوزه بسهولة تلك الأنظمة والقوى الكبرى المسيطرة على مقدرات العالم، ولهذا فإنّهم لا يكفّون عن المواجهة والمعارضة والانتهاكات والتهديدات أملأاً في إفشال هذه التجربة الجديدة، وبناءً على ذلك فإنّهم يفرضون المشاكل فرضاً، وفضلاً عمّا أنزلوه بشعبنا وببلادنا من ضعف وفتور وجهل وتخلّف على طول الزمان، فإنّهم مازالوا يواصلون ضغوطهم العدائية.

فعلى المسؤولين في النظام أن يؤدوا واجبهم على أكمل وجه في محيط يهدّه الصراع الحزبي؛ حتى يكون بإمكانهم تحقيق الإنجازات والأخذ بيد البلد نحو التقدّم والتوفّر على حلّ المشاكل والمعضلات، وهذا لن يكون ممكناً إلا بالإخلاص والصدق والتعاون والحفاظ على المبادئ التي قامت هذه الثورة على أساسها.

إنّ العمل بالدستور هو العلاج الأنجع لكافة آلام هذا البلد، ويتوقف هذا دوره على مدى ما يبدّر من جدّ وإخلاص وصدق ومسؤولية وأداء للواجب من قبل المسؤولين، سواء منهم الذين يعينون أسلوب تنفيذ الدستور ومجالياته – كالسلطة التشريعية – أو الذين يطبقون الدستور – كالسلطة التنفيذية – أو الذين يرائعون العدالة ويتعرّبون على المجرمين – كالعاملين في السلطة القضائية –، فهذا هو أساس القضية.

إنّ هذا المجلس – والحمد لله – مجلس يضمّ الكثير من المضحّين والمقاتلين والعناصر التنفيذية في المجالات الثورية المختلفة كما تقول الإحصائيات، أي أنّ أعضاء

هذه الدورة هم الذين بذلوا التضحيات والجهود؛ وحملوا أرواحهم على أكفّهم في سبيل بلوغ الأهداف الثورية، وهم — والحمد لله — من أولي التجارب وعشاق الثورة.

المجلس هو نقطة الأمل الأساسية للشعب والمسؤولين

إنّ المجلس دائمًا هو نقطة الأمل الأساسية بالنسبة للشعب والمسؤولين على حد سواء، وإنّ واجبكم المهم هو ألا تدعوا الضعف يتسلّب إلى هذا الأمل.

وكما أشار سماحة الشيخ كروبي فإن عليكم بمراعاة كلّيات الدستور ووضعها نصب أعينكم، وإنّ عليكم أن تبذلوا جهودكم بقدر ما تسعنّ به الفرصة وتتيحه الإمكانيات لتنفيذ البرامج الطويلة والمتوسطة الأمد، حتى إذا ما اعترضت طريقكم بعض العقبات بادرتم إلى إزالتها عملاً على تطبيق هذا القانون وتنفيذ هذه الخطة.

إنّ تقدّم المسؤولين للنقد بصدر رحب — والذي يعدّ من برامج هذه الدورة النيابية — هو أساس كل شيء؛ فعليكم أن تأخذوا بالاعتبار مرّ الحقيقة، سواء أكان ذلك على نطاق تعيين ومحاسبة المسؤولين، أو في ديوان المحاسبات، أو في إعداد الميزانية، أو في التخطيط، أو في سن القوانين، فهذا هو أساس الموضوع.

إنّ أكثر قوانيننا هي قوانين جيدة، إلا أنها لا تلبّي الضرورات؛ بسبب ما تعانيه من خلل على نطاق التطبيق؛ وإذا ما لاحظ المجلس العناصر التفزيذية بعين بصيرة — على أساس الإنصاف والعدل والالتزام بالأحكام والحدود الإلهية — فإنّ هذه المشكلة ستتجدد طرقها إلى الحل، أو أنّ وطأتها ستختفي على أقل التقادير، وهذا من الأمور البالغة الأهمية.

وبالطبع فإن عليكم بالأولويات؛ وكما قلت لكم أيّها الأعزاء في خطاب بمناسبة افتتاح المجلس، فإنه لا يمكن إنجاز كل شيء جملةً واحدةً واحدةً، فعليكم بالأولى ثم الأولى.

قضية المعيشة على رأس الأولويات

إنّ ثمة حديثاً يثار الآن في المجتمع عن طريق بعض المقالات والتصرّفات حول شأن وشخصية وشرف وكرامة الإنسان، وهو من أصول الإسلام دون شك، ولكن هل يوجد انتهاك لكرامة الإنسانية أنكى من أن يعجز فرد — في مجتمع يوجد فيه كل شيء، سواء أكان هذا الفرد ربّاً لعائلة أو أباً لأسرة — عن توفير ضروريات الحياة لأبنائه

ومن يعوله؟! فهل هناك استحقار أسوأ من ذلك؟! وهل هناك انتهاك للشخصية والشرف والكرامة الإنسانية أبلغ من ذلك؟! وهل من الإنصاف أن يعمل من الصباح حتى المساء ثم يكتب لي أو لكم أو لأحد من المسؤولين بأنه لم يستطع شراء لحم لعائلته لمدة شهرين؟! إنه عندما لا يوجد في السوق لحم أو فاكهة، فأنا وأنتم أيضاً لا نتناول اللحم أو الفاكهة، وعندما لا توجد رفاهية في المجتمع، فأنا وأنتم لن ننتم بها، وعندما يحل عيد من الأعياد وأولادكم لن يرتدوا ملابس جديدة، فحيئذ لن يشعر أحد بالخزي والامتنان؛ لأن البلية إذا عمت طابت؛ ولكن عندما يكون كل شيء متوفراً، وعندما يستطيع البعض الحصول على الثروات الطائلة وتوفير سبل الحياة المرفهة وامتلاك الكماليات عن طريق انتهاز الفرص اللامشروعه، وعندما توجد شرائح اجتماعية تتفق المال بغير حساب، بينما يوجد بيننا الكثير من أبناء الشعب من المقاتلين وأفراد الجيش والموظفين الحكوميين والمعلمين والقرويين وأهالي المناطق المحرومة والنائية وسكان الجنوب ممن لا يستطيعون حتى توفير الخبز والجبن لأنائهم، فهل يوجد امتنان الشخصية والشرف الإنساني أكبر من ذلك؟! فماذا تقولون لهؤلاء؟! وعلى قلب من تريدون إدخال السرور؟! ومن هم أولئك الذين تريدون كسب رضاهم؟!

نعم، إن قضية المعيشة تأتي على رأس الأولويات؛ فإذا صارت المعيشة ضنكاً، فلن يكون ثمة دين، ولا أخلاق، ولا حفاظ على الشرف والعفة، وستتبخر الآمال، ولن يستطيع أحد توجيه اللوم لكل من ينتهز الفرصة ويستغل الظروف؛ للتغلب على ما يعني من حاجة وفقر ومحاولة توفير ما ينقصه من ضروريات.

فابحثوا عن الأولويات، وابدوا بها؛ لأنها هي قضايا المجتمع الأساسية.

أيها الأعزاء! كونوا على ثقة بأن الفقر وسوء الحالة الاقتصادية ستكون هي الحربة المدببة التي يوجهها أعداؤنا وأعداء هذه الثورة وأعداء هذا النظام إلى صدورنا؛ ففكروا في حل هذه المعضلة، واعملوا على تذليل المشاكل الاقتصادية أمام أبناء الشعب، وعلى رأسها مشكلة البطالة التي كثيراً ما تكررون الحديث عنها، والتي هي مشكلة حقيقة، وسوهاها الكثير.

إن هناك العديد من أنواع الفساد وألوان الاستغلال والتفرقة والمشاكل الإدارية جنباً إلى جنب المشاكل القضائية، ولكن اجعلوا الحفاظ على روح الأمل حيّة في قلوب الجماهير على رأس أولوياتكم، وكذلك إشباع بطونهم.

إنه من السهل الجلوس وإطلاق الكلمات الخالبة: إذا لم يحدث كذا فلن يحدث كذا، وإذا لم يكن الأمر هكذا فلن تكون النتيجة هكذا... ولكن ينبغي الوقوف على الحقيقة؛ إن هذه المسؤوليات لها مكان اليوم، ولكن لن يكون لها مكان غداً، وكأننا راحلون عن هذه الحياة؛ لقد كان مجلس الشورى الإسلامي قائماً بفضل الله، وسيظل قائماً، ولكننا نحن الذاهبون، فليس لدينا سوى القليل من الوقت، وعلى كاهلنا العديد من المسؤوليات التي لابد من أدائها.

ويجب علينا أن نرضي الله بالدرجة الأولى؛ وبالطبع فإن علينا أيضاً إرضاء الناس وإدخال السرور على قلوبهم، ولكن علينا أن نفكّر في الحساب الإلهي بالدرجة الأولى.

اجعلوا الله نصب أعينكم

أيها الأعزاء! إن الله سيحاسبكم على كل ساعة من عمركم أمضيتموها في هذا المجلس، وعلى كل قرار اتخاذتموه، وعلى كل ما يبدر منكم من حركات أو سكנות؛ لما أصبح لها الآن من أهمية؛ فمنذ فترة وجيزة كنتم تقعدون وتقومون وتحركون وتتحدثون دون تأثير لذلك، وأمّا الآن فكل كلمة تتقدّم بها وكل حركة أو موقف تتذبذبه بات أمراً مؤثراً؛ فهذه إمكانية، وهذه الإمكانيّة تأتي معها بالمسؤوليات الجسمانية، ولكن الله تعالى سوف يحاسبنا بالدرجة الأولى.

اجعلوا الله نصب أعينكم في تشخيص الأمور وتوظيف الأشخاص وتعيين المسؤولين؛ فكل هذا يحتاج إلى الذكاء والمعرفة والدقة، وهي من الواجبات المؤكدة.

إن كل من تسندون له عملاً ما، وكل من تعرّضون عليه، وكل من تقومون بمسائلته، وكل من تستجوبونه، هو مسؤول في النظام الإسلامي ويستمد منكم سلطته وقوته وإمكاناته.

وأمّا من هو الذي تمنحونه هذه القوة، وكيف تتذبذبون القرارات، وكيف تشخصون الأمور؛ فهو مما يتطلّب الدقة والذكاء وعدم المحاباة.

إن تقسيم الأجنحة إلى يسار ويمين، وحديث وتقليدي وما عدا ذلك لا يمت إلى الحقيقة شيء ولا يتجاوز مجرد الكلام! وأمّا في الحقيقة فهو ذلك الواجب وتلك المسؤولية التي تقع على كاهلكم، وهذا هو المهم، أي ذلك الشيء الذي يشغلنا ويهمنا أمام الله تعالى.

أيها الأخوة الأعزاء، إن بعض السلوكيات يمكن للمرء أن يتوب منها، كما أن بعضها يستعصي على التوبة؛ لأن إصلاحها مستحيل؛ فالقرآن الكريم يردد في موارد متعددة **<إلا الذين تابوا>**¹ بقوله تعالى **<وأصلحوا>**، لأن التوبة تكون أحياناً مختصة بالتصريفات الفردية والسلوكيات الشخصية، فننوجه إلى الله تعالى بالدعاء مقرّين بخطئنا، فيمحو الله سبحانه آثامنا.

ولكن الأمر يختلف عندما يكون الفعل مؤثراً على النطاق الاجتماعي، فيأتي معه الواقع الجديد أو يزيل واقعاً ما من المجتمع، وهنا لا تكون التوبة مقبولة إلا بإعادة إصلاح هذا العمل.

فهل هذا مما يمكن إصلاحه دائماً؟ وهل يمكن دائماً إعادة المياه إلى مجاريها؟ ولهذا فلا بد من الدقة التامة.

إنه يجدر بي أن أبارك لكم هذه المسؤولية الجسيمة التي تقع على كاهمكم، ومع ذلك فلا بد لي من أن أحذركم أيها الأعزاء، فكونوا على حذر؛ لأنها مسؤولية جسيمة وعمل بالغ الأهمية؛ إنها لمسؤولية خطيرة كذلك التي تحملها من كانوا قبلكم، وتلك التي سيتحملها من يأتي بعدكم، فتوجّهوا إلى الله تعالى بطلب العون والمساندة، ولا تخروا أحداً إلا ذلك القسم الذي أتيتموه؛ فهو قسم حقيقي، أي أنه قسم شرعي، بمعنى أنكم إذا حنّتم في هذه اليمين فستكونون قد خالفتم الشريعة بالتأكيد، وستتحملون المسؤولية الكبرى أمام الله تعالى.

واجبنا الدفاع عن هوية الثورة ومبانيها

إن واجبنا هو الدفاع عن هوية الثورة ومبانيها، والذبّ عن أسس هذا النظام، وهو ما لا يتحقق إلا إذا أدركنا وتفهمنا مسؤولياتنا التي يحتوي عليها هذا الدستور الرفيع والشامل، والذي يعتبر من أشمل وأكمل الدساتير المعمول بها في عالم اليوم، وإن كان لا يخلو – مع ذلك – من بعض العيوب والنقائص.

إن هذا الدستور هو الذي ينصّ على أنّ المجلس من الأركان المهمة لهذا النظام.

¹ سورة البقرة: الآية 160.

ولب الموضع هو أن هذا الركن يعود إلى هذا النظام الإلهي ويتعلق به، وهناك من يبذلون الجهد الحثيثة، ويقومون بشتى النشاطات رغبةً في ألا يظل هذا النظام محافظاً على جامعيته أو روحه الإسلامية!

إن واجبنا يحتم علينا جميعاً ضرورة مواجهة نفوذ المعارضين لهذه الثورة وهذا النظام الراسخ بكل اقتدار؛ وإذا ما من الله تعالى على بالتوقيف — كخادم يتحمّل المسؤولية — فإن هذا هو واجبي أيضاً كما أنه واجبكم.

إننا جميعاً نتحمّل المسؤولية في مواجهة كل من يعمل على إضعاف أركان هذا النظام؛ العقائدية منها أو الفكرية أو التنفيذية، فهذا هو الواجب الأساس على كافة مسؤولي النظام، سواء في السلطة التنفيذية — وفي المقدمة رئيس الجمهورية — أو في السلطة التشريعية — التي تمتلكها أنتم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء — أو في السلطة القضائية، أو ما عدا ذلك من المسؤولين ومن جملتهم هذا العبد الفقير.

إن سعادتنا تكمن في مواصلة هذه المسيرة، ولقد عاهدنا الله تعالى على الصمود، وسنفي بهذا العهد إن شاء الله.

إننا لن ندع المعارضين للثورة — والذين كانوا منذ البدء معارضين لها — يقدرون على تحقيق مآربهم في المراكز ذات التأثير على الرأي العام وعلى إيمان الجماهير، وهو ما يطلبكم به الشعب ويأمركم به الله تعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتفضل عليكم بالعون والتوفيق لقضاء هذه السنوات الأربع، وقد حالفكم عافية الدين والدنيا مع رضاكم عنكم سبحانه، وأن يخالجكم الشعور بالرضا، وقد حققتم إنجازاً لهذا البلد وهذا الشعب بعد إنتهاء هذه المسؤولية.

كما وندعوا الله سبحانه وتعالى لكم بالتوفيق جميعاً أيها الأعزاء، وأن يديم عليكم وعلى هذا الشعب بركاته المستفيدة يوماً بعد آخر، وأن تشمنا وتشملكم بركات الدعاء المستجاب لبقية الله الأعظم (أرواحنا فداء) إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته